

جيت

الشارع يعج بالمارة، أصوات السيارات  
والناس والبائعين تختلط مع بعضها بعضاً،  
تتداخل، الهواء صحو، نسمة لطيفة تهب  
تداعب وجوه البشر، تختلط رائحة الجواقة مع  
عوادم السيارات، الشمس ترسل أشعتها الذهبية  
تغازل بها عيون الأطفال، بعض السحب البيضاء  
المتفرقة تجري خلف بعضها في جو السماء،  
الكل يتحرك، يسعى في الأرض لنيل الرزق.  
أصوات جامعي التبرعات تعلو، تخترق  
القلوب المسلمة، تدعوهم للبذل والعطاء في  
سبيل الله تعالى، صناديق كثيرة، بجوار كل منها  
أحد الإخوة الدعاة لكي يحث الناس، الكل  
يتسابق ويعطي مما جعله الله مستخلفاً فيه.



بقلم: محمد الروبي عبد الوهاب  
مصر

متطاهرة، قطعاً صغيرة، غطوه بأوراق الصحف، كومة  
من اللحم الصغير، لم يستدلوا على شخصيته، رأيت  
ذلك المنظر وفضلت أن يبقى مجهولاً، ويدفنه  
المحسنون، أنكرته لأنك خفت من الشرطة ومحاضرها.  
لم تتعظ أبداً من حادث ابنك الثاني وحالته، أدمن  
جميع أنواع المنكر: المخدرات، المسكرات، الجري وراء  
الساقطات حتى أصيب بالإيدز وتلاعب به الصبيان  
كما يحلو لهم وهو لم يتجاوز العشرين بعد.  
لم تأخذ العظة والعبرة من زوجتك التي رفضت أن  
تعيش معك تحت سقف واحد، وبأسلوبك الوقح  
الحيواني كسرت عمودها الفقري لترغمها على  
الجلوس بين أربع جدران، ولكنها لم تأكل معك قطعة  
واحدة من الخبز، فهي تعرف أن مالك حرام حرام،

يقطع الشارع جيئة وذهاباً، مرة ومرات عديدة،  
يدعو ربه «يا رب ارزقنا وسهل لنا وأنت خير الرازقين،  
سهل لنا أمرنا صوت ضميره يقول له:  
«كيف تدعو ربك وأنت لم تصل صلاة الفجر، لم  
تركع لله سوى صلاة واحدة، لم تعطف على المحروم  
أو المسكين، لم تتق الله يوماً في حياتك، حياتك كلها  
تمضي في حسرة وألم، إن المال الذي تعيش به ليس  
مالك، إنك تعيش على جيوب خلق الله، تأكل الحرام  
وتطعم أولادك من الحرام، لم تعتبر بما حدث لابنك  
الذي دهمته سيارة وهو يركض خائفاً من الطابور  
الطويل الذي كان يطلبه ويلهث خلفه لأنه شق بطن  
العجوز بالمشرط بدلاً من أن يشق الجيب، فلفظت  
أنفاسها على الفور وسقط هو، جمعوه لك أشلاء،

وتفتت من بيع البذور واللب وعلب الكبريت لأهل الشارع الذين يشترون منها هذه الحاجات.

كم مرة داهمت الشرطة منزلك؟ كم مرة دخلت السجن؟ كم عاماً قضيت في غياهب السجون؟ ألم تتعظ من كل هذه العبرات؟ مضت عليك من العقود أربع، لا تتذكر أنك فعلت خيراً قط في حياتك أبداً، كلا، المرة الوحيدة التي فكرت بالذهاب للمسجد حين حضرت جماعة من أصحاب الملابس البيضاء، القلوب البيضاء، والوجوه البيضاء، والفعال والخصال البيضاء، الأيادي البيضاء واللحي الكثة، وانتشروا في البلد، أدخلوك المسجد رغماً عنك، دخلت على مضض، وصليت المغرب، وهممت بالانصراف مسرعاً لو لا أن قال لك أحدهم امكث هناك درس.

جلست، كان الأخ يدعو الناس للتبرع لإخوانهم المجاهدين، دفع إليك أحدهم خمسة جنيهات وقال لك: «خذها وادفعها لله» قال لك إبليس: خذها واهرب من المسجد، وتكفي لسهرة حمراء. كانت خطتك وكيدك أقوى من كيد الشيطان الضعيف، الشيطان أغراك بالهروب خوفاً من أن تتبرع بها فتكون لك في الآخرة وقاية من النار، وأنت طمعت في الكل.

وقفت وسط جموع المصلين في المسجد، نظرت فيمن حولك من المؤمنين، الجماعة الطاهرة، الجماعة المتوضئة وقلت لهم: «كلكم تعرفون أنني اللص، الحرامي، أشهدكم بأنني تبت الآن على يد هؤلاء النفر من صانعي المعروف وها هي ذي خمسة جنيهات فقط هي كل ما عندي من المال وأمامكم لكي تكونوا شهداء على ذلك، إنني قد تبرعت بها لإخواننا المسلمين».

كثر الحديث وكبر الناس وحمدوه على هدايته لك وقال أحدهم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» فرد من أعطاك المال.

إنه طيب إن شاء الله تعالى، فقلت في نفسك: إنني أدرك هذا يا مخدوعون، سوف ترون ما أفعل.

اندفع الحضور وجمعت الأموال في كيس أبيض كبير، وضعها الإمام على يمينه، وتظاهرت أنت بقضاء حاجتك، وفي لمح البصر، خطفت الكيس وأطلقت ساقيك للريح وهربت من البلد، لكن هل هربت من الله؟ واليوم تكرر نفس المأساة الهزيلة المخزية، هيا تقدم، الناس تنادي: أنفقوا في سبيل الله، تبرعوا لإخوانكم في البوسنة والهرسك، إخوانكم الجوعى

والعرايا.

تقول في نفسك: إنني أستطيع أن أسرقهم كلهم في يوم واحد، بل في ساعات. لا نطلب منك سرقتهم كلهم، بل هل تستطيع سرقة هذا الشاب الذي أمامك، تقدم هيا.. لا.. لا.. لا أستطيع ذلك، إنني أحس كأن هناك شيئاً صلباً يحفر في ظهري، أرى أمامي فوهات بنادق ومدافع مصوبة كلها إلى رأسي، صرخ لا.. لا.. لا تقتلونني، إنني مسلم، يعلو الصراخ.. لا تصرخ كالأطفال! قف في مكانك. لا تتقدم.

لماذا تسمرت قدمك كصنم جامد لا حياة فيه؟ لا تقوى على الحركة، لماذا لا تسرقه؟ تصرخ لا.. لا تقتلونني: من هم هؤلاء الذين تتخيلهم، شاخ الفكر.. ذهب العقل، أن لك أن ترحل عن الدنيا لكي ترتاح منك البشرية، ترتاح من خطاياك. كم مرة نكبت فيها الناس؟ كم مرة سرقت أرباب الأسر في أول الشهر وتركتمهم يدعون عليك؟ كم مرة جردتهم من رواتبهم لكن تعيش به حياة الكلاب، سهر إدمان، خمر، نساء، كل هذه الموبقات.

يصرخ مرة ثانية وثالثة لا.. لا تقتلونني! إنني أريد الحياة، لا أيها الجنود.. اتركوني.. لن أسرق الصندوق.. فتحة الصندوق الصغيرة يخرج منها الجنود، يركضون تجاهك.. هم لا يريدون أن يقتلوك، هم يريدونك حياً.. لا.. لا.. لا تركضوا خلفي، اتركوني.. إنني تصورتكم دراهم ونقوداً تدخل الصناديق ولكن ظهر لي الآن أنكم جنود.. جنود ترتدون البزات العسكرية.. اتركوني، لماذا تعطي ظهرك للصندوق.. استغرب الحاضرون منظر الماساوي، حين هممت بالانطلاق.. ربت أحدهم على ظهرك، على كتفك: خذ هذا المال وتستطيع الشروع في حياة شريفة، عجباً! إنه الإنسان الذي تريد سرقة وخطف الصندوق من أمامه، نظر إليك باستغراب وقال لك: «لقد ذهب خير ما في جسدي هناك في البوسنة والهرسك، وبقي لي منه بقية أريدها أن تذهب في المعركة.. جاهدنا بالنفس ونجاهد بالمال».

أدار ظهره للصندوق ورفض النقود وانحدرت دموع الندم على خديه، وصار يناجي الله في خفوت: يا رب تقبل توبتي... يا رب.. سامحني! سمع ذلك الشاب يردد: ﴿غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾. سورة غافر الآية ٣.